المحاضرة الخامسة: مدارس علم النفس – التحليل النفسي La psychanalyse

يشير مصطلح التحليل النفسي في نفس الوقت إلى مقاربة لعمل الجهاز النفسي le psychisme للكائن البشري وإلى طريقة في العلاج، كما نتحدث أيضا عن ما وراء علم النفس la métapsychologie والدينامية النفسية التي تضم مجموعة المقاربات الإكلينيكية التي تنطلق من التحليل النفسي التقليدي إلى علاجات مختصة ذات توجهات تحليل نفسية (تعتبر أن الجهاز النفسي مسير بدينامية متأثرة أساسا بالنزوات الداخليةles pulsions internes وتجارب الطفولة المبكرة).

يَعتبر التحليل النفسي أن سلوك الفرد مرهون بشكل كبير بشدة قواه الداخلية، فالأفعال البشرية حسب هذه النظرية تأتي من الغرائز الموروثة، النزوات البيولوجية ومحاولات حل الصراعات، وهكذا تكون حالات الحرمان والإستثارة الفيزيولوجية والصراعات أساس سلوكاتنا.

1. التحليل النفسي الفرويدي la psychanalyse freudienne:

يعتبر الطبيب النمساوي سيغموند فرويد Sigmund Freud (1856-1939) الممثل الرئيسي للتيار التحليلي الأوروبي وواضع أسس نظرية التحليل النفسي.

1.1. بنية الشخصية:

يرى **Freud** بأن الجهاز النفسي الإنساني يملك بنية سماها موقعية (أو موضعية) une topique تتضمن عدة أوجه، حيث اقترح طبعتين متتاليتين لهذه الموقعية:

أ. الموقعية الأولى la première topique: تم فيها التمييز بين:

- **الشعور le conscient**: الذي نلج إليه مباشرة.

- **ما قبل الشعور le préconscient**: ما هو مخزن في الذاكرة ولكنه يمر مباشرة إلى حالة الشعور.

– **اللاشعور l'inconscient**: ما هو مدفون عميقا في جهازنا النفسي، وبالخصوص الذكريات المكبوتة التي لا نصل إليها في الحالة العادية. حيث توجد أجهزة رقابة تعيق تبادل المعلومات بين هذه المركبات وذلك من أجل الحفاظ على صحتنا النفسية.

ب. الموقعية الثانية la deuxième topique: تتضمن:

– **الهو le ça**: دافع نزواتي une instance pulsionnelle للشخصية، يسيره مبدأ اللذة الذي يبحث عن الإشباع المباشر، ويتجاهل أمورا من مثل: الجيد والسيء، الأخلاق، فهو خزان من النزوات الجنسية على وجه التحديد.

– **الأنا الأعلى le surmoi**: يتضمن إستدخال المتطلبات والممنوعات الوالدية والإجتماعية.

– **الأنا le moi**: الجزء الأكثر شعورية في الشخصية وهو خاضع لمبدأ الواقع ويحاول التوفيق بين نزوات الهو والحدود المفروضة من قبل الأنا الأعلى.

– **الأنا المثالي le moi idéal**: مفهوم (نظرة) مثالية للشخص الذي يتشبه به الفرد والذي يضعه الطفل من خلال تقمص أشخاص محبوبين (الأولياء عادة).

2.1. مراحل نمو الطفل les stades de développement de l'enfant:

يمر الطفل حسب التحليل النفسي الفرويدي بعدة مراحل خلال تطوره، تكون مرتكزة أساسا حول الجنسية الطفولية la sexualité infantile:

- المرحلة الفمية le stade oral (من 0 إلى 18 شهرا): تكون لذة الرضيع في هذه المرحلة مرتكزة حول الفم والمص، حيث يكون الثدي الأمومي هو موضوع اللذة، فالطفل يضع عفويا في فمه كل الأشياء الموجودة في محيطه وهي طريقة لاكتشافها واستيعابها أيضا (فهمها وامتلاكها).
- المرحلة الشرجية le stade anal (من 18 شهرا إلى 3–4 سنوات): يكون النشاط الجنسي في هذه المرحلة مرتبطا بمراقبة المراكز العاصرة son sphincter، ويتم فيها إكتساب النظافة والكلام، فالطفل يعتبر فضلاته جزءا منه، فيمكن أن يهديها أو يرفض إهدائها للراشدين ويكتشف بهذا الشكل سلطته على المحيط.
- المرحلة القضيبية le stade phallique (من 3–4 سنوات إلى 5–6 سنوات): تكون المنطقة المولدة للذة الجنسية la zone érogène المفضلة لدى الطفل في هذه المرحلة مكونة من قبل الأعضاء التناسلية، حيث يطرح الطفل في هذه المرحلة أسئلة حول أصل الحياة والإختلاف بين الجنسين. وتظهر في هذه المرحلة عقدة

الإخصاء le complexe de castration عند الذكر (خوف من فقدان قضيبه أو قلق الإخصاء)، في حين تعاني البنت من عدم امتلاكها لعضو ذكري (الرغبة في القضيب) ففي هذه المرحلة تتطور عقدة Œdipe فينجذب الذكر نحو أمه ويعتبر أباه منافسا له.

- فترة الكمون la période de latence (من 5–6 سنوات إلى البلوغ): تكون النزوات الجنسية للطفل في هذه الفترة أقل قوة، كما أنه يستدخل الممنوعات الأخلاقية الأولى ويصبح عفيفا pudique، ففي مرحلة "حل Œdipe" يترك الطفل نزواته الجنسية والعدوانية المرتبطة بعقدة أوديب ويتقمص الولي من نفس الجنس وتتنوع نشاطاته واهتماماته.
- المرحلة التناسلية le stade génitale (إنطلاقا من سن البلوغ): يتعلم الفرد تدريجيا مراقبة اندفاعاته بطريقة مرنة ومريحة، إذ يصبح أناه قويا ويتوصل إلى الموازنة بين فعل الهو وفعل الأنا الأعلى.

3.1. ميكانيزمات الدفاع les mécanismes de défense:

هي سيرورات لاشعورية يعدها الأنا للدفاع ضد النزوات غير المراقبة التي يولدها الهو والموجهة للحماية ضد القلق l'angoisse.

- الكبت le refoulement: تتضمن هذه السيرورة إرسال التصورات غير المقبولة في نظر الشخص إلى اللاشعور، فهو شبه نسيان يمكن أن يظهر تحت شكل أحلام (الطريق الملكي للاشعور)، زلات اللسان les lapsus أو أمراض نفسية (عودة المكبوت).
- العقلنة la rationalisation: هي التفسير المنطقي والعقلاني في الظاهر لفعل أو فكر ولكن الدوافع مدفونة في اللاشعور.

أكد **فرويد** و**آنا فرويد Anna Freud** على الجانب الباثولوجي لميكانيزمات الدفاع، ولكن نظرة المحللين النفسانيين تطورت مند ذلك الحين، حيث قسم **جورج فييون George Vaillant** (طبيب عقل أمريكي) ميكانيزمات الدفاع إلى أربعة أصناف كبرى حسب مستوى عملها:

– الميكانيزمات الناضجة les m. matures: مثل الغيرية (الإيثار) l'altruisme، الحب، التسامي la sublimation.

– الميكانيزمات العصابية les m. névrotiques: العقلنة، الكبت، التفكك la dissociation.

– الميكانيزمات غير الناضجة les m. immatures: الإسقاط la projection، التوهم بالمرض l'hypocondrie.

– الميكانيزمات الدهانية les m. psychotiques: الإنكار le déni، الإسقاط الهدياني la projection délirante.

4.1. الإختلالات العقلية والعلاج التحليلي النفسي:

تنتج الإختلالات العقلية عن الصراعات اللاشعورية، حيث يمكن للشخص المريض أن يستعيد توازنه النفسي عندما يتوصل إلى القضاء على صراعاته وعندما تصل الميكانيزمات المكبوتة إلى الشعور، والتي يتوجب عليها أن تتجاوز مقاومات قوية.

تتضمن تقنية التداعي الحر l'association libre أن يقول العليل le patient كل ما يدور في فكره، وهو محتوى ظاهر، في حين يتوجب على المحلل النفسي فك تشفير المحتوى اللاشعوري الكامن.

2. الأشكال الأخرى للتحليل النفسي:

أ. ألفرد آدلر Alfred Adler (1870–1937) (طبيب نمساوي):

أعد **آدلر** نظرية علم النفس الفردي التي اعتبر فيها بأن الإضطرابات البسيكولوجية ليست ثمرة الصراع الجنسي اللاشعوري ولكنها ناجمة عن الشعور بالدونية le sentiment d'infériorité الذي يمكن أن يقود إلى تقدير ذات ضعيف أو تقدير مفرط للذات une survalorisation du soi من خلال ميكانيزم التعويض le mécanisme de compensation.

ب. كارل غوسطاف يونج Carl Gustav Jung (1875–1961) (طبيب عقل سويسري):

أعطى **يونج** أهمية أقل للجنسية la sexualité واعتبر أن المشاكل النفسية للراشد ليست بالضرورة نتيجة للتجارب الطفولية، ما دفعه لتطوير مصطلح اللاشعور الجماعي l'inconscient collectif، حيث يقودنا هذا اللاشعور الجماعي إلى تاريخ الأجداد وهو مكون من نماذج أولية des archétypes وبنى قاعدية فطرية وعالمية هي:

- L'animus: أو الوجه الذكوري للاشعور عند المرأة.
- L'anima: ويمثل الوجه الأنثوي للاشعور عند الرجل.
- La persona: وهو الصورة التي نظهرها عن ذواتنا.

- L'ombre: هو شخصنة la personnification كل ما نرفض الإعتراف به في أنفسنا.

ت. جاك لاكان Jacques Lacan (1901-1981) (محلل نفسي فرنسي):

من اهتمامات **لاكان** التقريب بين التحليل النفسي واللسانيات البنيوية les linguistiques structuraliste من خلال تأكيده على أن "اللاشعور مبني مثل الكلام".

طور **لاكان** موضوع "مرحلة المرآة le stade de miroir" الذي استوحاه من عند **هنري فالون Henri Wallon** (نفساني فرنسي مختص في نمو الطفل)، حيث تظهر هذه المرحلة عند الرضيع ابتداءا من 6-8 أشهر، حيث يبدأ بالتعرف التدريجي على جسده، ما يسمح له بتمييزه عن جسد أمه وعن بقية الناس عموما.

المراجع:

- Lecomte, J. **Psychologie, courants, débats, application**, Dunod, Paris, 2008.

- Nicolas, S. Ferrand, L. **Les grands courants de la psychologie modernes et contemporaine**, histoire documentaire des systèmes et écoles de psychologie, de Boeck, Belgique, 2009.